1-مفهوم الأمة:

يتحدث "ألان تورين" في كتابه " براديغما جديدة لفهم عالم اليوم" على أن اللحظة الراهنة هي لحظة المقولات الثقافية بامتياز؛إذ أن "عالم مابعد اجتماعي" لم تعد تنظمه التصورات الاجتماعية التي انزاحت لصالح المقولات الثقافية بسبب هذا المجتمع الجماهيري [1]،الذي أسس مفاهيمه الجديدة والتي لا بد من النظر إليها من خلال المقاربات الثقافية،إن هذا الطرح يتناسب كثيرا مع تحليلنا لمفهوم الأمة،هذا المفهوم السديمي الإشكالي الذي تتباين فيه وجهات النظر ويخلق جدلا واسعا عند المشتغلين عليه،ويأخذ طابعا إيديولوجيا عند مستعمله،ولذلك فان تحليله كمقولة ثقافية قد ينزع عنه غلالة الإيديولوجي ويكسبه مرونة في التحليل والاستعمال.

تُحيل المعاجم العربية في مادة " أمم"على عدة معان: «كالأصل،والأم،والعلم الذي يتبعه الجيش وسيد القوم،والجماعة،والطريقة،والدين،والقامة،والنعمة،والقصد »[2].

وبالنظر إلى كل هذه المعاني التي تطرحها كلمة أمة في المعاجم والقواميس العربية نجد انه يمكن القول إن مفهوم الأمة هو نسق عام تنتظم فيه انساق فرعية،حيث تتحول هذه المعاني إلى متساندات لغوية تدعم مفهوم الأمة في بعده الاصطلاحي،فالأم هي الأصل والأرض والمنبت إزاء الأمة التي هي أم الأفراد،وهي من تجمعهم ضمن جغرافية واحدة،وكذلك العلم الذي يحدد الوجهة كما تحددها الأمة،وعلى ذلك تقاس بقية المعاني التي لا يتسع لذكرها المقام.

إن مفهوم الأمة في ثرائه اللغوي جعل تحديده الاصطلاحي ينفتح على عدد كبير من التخريجات تتوافق والتوجهات الإيديولوجية لمتبنيها؛حيث نظر البعض لمفهوم الأمة في محدده اللغوي،فكانت اللغة هي نواة نسق الأمة وآخرون آثروا

اعتبار العرق،والبعض تحدث عن تاريخ مشترك وفيهم من اعتبر الجغرافيا هي ركيزة تحديد الأمة،فيما ينظر آخرون إلى إن مفهوم الأمة متداخل مع مفهوم الدولة والوطن «حيث إن الدولة هي الوطن الفعلي والأمة هي الوطن المعنوي »[3].

وفي كل هذه التوصيفات كان الفهم الإيديولوجي هو المسيطر في تشكيل مفهوم الأمة،فالتوجهات القومية اعتبرت أن الأمة لا تتأسس إلا من خلال البواعث القومية فيها التي هي صمام الأمان،وعامل التماسك فيها،فالحديث عن الأمة العربية لا يكون إلا بتكريس العوامل القومية كاللغة والمصير المشترك والعرق،هذا ما رفضته التوجهات الدينية التي تربط تماسك الأمة ووحدتها بالدين الذي يتوفر على أسباب الوحدة والتماسك،وبالنظر إلى القرآن الكريم نجد أن لفظ الأمة ورد في عدد كبير من آيات التنزيل الحكيم حاملا معان متعددة تستشف من سياق الآيات مما جعله من المفاهيم المركزية في القرآن،فقد ارتبط ذكره بالحديث عن الأفراد وعن الجماعات،وحتى عن الحيوانات[4]، وفي النصوص التراثية نجد أن مفهوم الأمة عند الفرابي يتداخل مع مفهوم الملّة مع تمييزه للأمة في ربطها بالأبعاد الاجتماعية والمدنية،وعند " ابن خلدون " يعتبر الدارسون أن مفهوم الأمة غاب بالقياس على مفهوم العصبية والدولة والعمران،وإن كان قد أشار للعلاقة بين الأمة والوطن[5].

ويجمل "ناصيف نصار" في تنظيراته حول الأمة هذه التصورات في أربع اعتبرها تحدد تلك الروابط المختلفة في فهم الأمة عند التوجهات المختلفة وهي [6]:

- التصورات الدينية.
- التصورات الغوية.
- التصورات الإقليمية.
- التصورات السياسية.

إنه وبالنظر إلى هذه التصورات التي تجعلنا لا نستكين إلى تصور محدد منها للأمة مما قد يحمله من محمولات إيديولوجية،فإننا يمكن أن نعود إلى تصور"جمعية العلماء المسلمين"لهذا المفهوم،كونها المؤسسة الثقافية التي انتسب إليها الإمام الإبراهيمي مما يجعل من فهمها للأمة يتوافق ولو نسبيا مع فهم الإمام،فقد ميّز الشيخ "عبد الحميد ابن باديس"بين مفهومي الدولة والأمة واعتبر أنه بالإمكان أن تكون هناك أمة مع عدم امتلاكها دولة لاحتلالها أو اندماجها مع أمم أخرى،وينظر إلى أنه يمكن أن تجتمع أمتين أو أكثر في دولة واحدة مع احتفاظ كل امة بخصائصها ومميزاتها التي تتحدد من خلال ثلاث معايير هي: اللغة والعقيدة والتاريخ[7].

لقد استجاب مفهوم الأمة عند "ابن باديس"إلى تأثير الظروف التي عايشتها الجزائر بفعل الهيمنة الكولونيالية،فكان فهمه لها مرتكزا على المقومات الوطنية القومية والبواعث الدينية ترسيخا وتدعيما لمفهوم الأمة الجزائرية،هذا المصطلح الذي كثيرا ما نجده في كتابات الإمام"والذي يشي بقوة ومتانة المشروع الثقافي الذي صدر عنه هو،وعلماء الجزائر.

إن مفهوم الأمة كما يراه البحث هو نسق ثقافي ناظم حوله انساق فرعية تابعة له تتحدد وظيفته من خلال الحفاظ على الوحدة والتماسك الاجتماعي،وربما نجد في فهم المفكر السوري " محمد شحرور"–صاحب القراءات الرائدة للقرآن الكريم–ما يحملنا على القول بثقافية الأمة،حيث يعتبر "محمد شحرور"أن مفهوم الأمة في القرآن الكريم ينطبق كثيرا على تعريفات الثقافة اليوم[8]، حيث يورد عددا هاما من التعريفات الرصينة للثقافة ويقارنها بمفهوم الأمة في سياقات النصوص القرآنية،وينظر إلى قوله تعالى: ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين﴾ (هود/118)على

أن "هذه الآية تؤسس للمرحلة التاريخية التي لا تزال قائمة ويستمر فيها اختلاف الثقافات وتباينها إلى نهاية التاريخ"[9].

---

[1] – ألان تورين،براديغما جديدة لفهم عالم اليوم،تر:جورج كتوره،المنظمة العربية لترجمة،لبنان،ط1،2001،ص 315.

[2] – السيد عمر،مقاربة إسلامية في بناء مفهوم الأمة،مجلة ثقافتنا للدراسات والبحوث،ع 27، 2011،ص 38-39.

[3] – المرجع نفسه،ص65.

[4] – محمد شحرور،الدولة والمجتمع،دار الأهالي،سوريا، (دط)،(دس) ص60 وما بعدها.

[5] – نبيل فازيو، مفهوم الأمة عند ناصيف نصار،مجلة المستقبل العربي،ع450، 2016، ص138.

[6] – المرجع نفسه، ص136.

[7] – رابح لونيسي، التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة، دار كوكب العلوم الجزائر، ط1، 2007، ص335.

[8] – محمد شحرور، الدولة والمجتمع، ص 68-69.

[9] – المرجع نفسه، ص67.